مقامات الحض
على
العفو والصفح
في البيان القرآني

بقلم

د . أحمد إبراهيم محمد علي

أستاذ البلاغة والنقد المساعد بالكلية

١٤٣٦ هـ ٢٠١٥ م

المقدمة

مقدمة :

لا يمكن فهم النصوص ، أو تأويلها دون النظر إلى ما يحفها ، ويحيط بها من ملابسات تؤثر في بنائها ، لذا كان احتفال البلاغيين منذ القدم بالمقام ، ودلالاته المعرفية ، وارتباط أبواب البلاغة العربية بفكرة المقام أو مقتضى الحال .

والنصوص أو اللغة بشكل عام لا تقف عند مجرد نقل الأفكار والأحاسيس . وإن كان ذلك من وظائفها الأساسية . بل هي كأي نشاط ، أو حدث لا يمكن فهمه بمعزل عن بقية الأنشطة الأخرى ، لذا فإن المقام ، أو الظرف المحيطة بالنص ، أو الحدث اللغوي جزء متم للنص . ولهذا كان التأكيد على أهمية الرجوع للمقام ، أو الموقف الكلامي ، أو ما يسمى بقرائن الأحوال ، وهي جميع ملابسات النص عند محاولة إفراغ مضمونه ، ومعرفة أهدافه .

وإذا كان المتكلم البليغ هو من يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدارالمستمعين ،وبين أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ، ولكل حالة من ذلك مقاما ، كما أن عنايته بالكلام تكون على حسب الحال ، وقدر الحفل ، وكثرة الحشد ، وجلالة المقام وتبيُّن مقادير من يكتب عنهم ، أو إليهم ، فكذلك ينبغي على من يروم فهم النصوص ، والوقوف على مراميها أن يقف على كل ما كان له تأثير في بناء النص كالهدف منه ، وأحوال المخاطبين ، وصفاتهم ؛ لأنه لا يمكن فصل المقال عن المقام ، ولا فهم المقال بمنأى عن المقام .

وتكمن إشكالية البحث في أن مقامات الأمر بالعفو والصفح أو الحض عليهما في البيان القرآني جاءت متفاوتة تبعا لتفاوت سياقاتها التى وردت فيها ، وتفاوت الملابسات التي أحاطت بها ، من أسباب الأمر بهما ، أوالتحضيض عليهما ، وبيئتهما ، والهدف منهما .

كما تباينت ـ كذلك ـ كل صيغة في سماتها و خصائص بنائها عن الأخرى ، وكذلك المحفزات على تنفيذ الأمر بالعفو والصفح ، والقبول بالحض عليهما تبعا لتباين سمات المخاطبين، واختلاف أحوال المستهدفين .

وتكمن أهمية هذا البحث في محاولته الوقوف على ملامح تلك المقامات في البيان القرآني ، وسياقتها ، وملابساتها ، التي أحاطت بها ، وما استلزمته من تفاوت صيغ وأساليب الأمر بالعفو والصفح ، والحض عليهما ، كونها لم تأت بصيغة صريحة في كل المواضع ، بل ندب إليهما ، وحض عليهما القرآن في معظم المقامات ، وذلك في ضوء المنهج الوصفي التحليلي .

مع الإشارة إلى وجود دراسة سابقة منشورة بحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة بعنوان : العفو في القرآن الكريم للدكتور / الرفاعي محمد الرفاعي ، قد تناولت الموضوع من جانب دعوي أخلاقي ، بعيد الصلة عن أهداف هذا البحث ، ومنهجه .

وقد جاءت خطة البحث ـ بعد تجميع وحصرالآيات التي ورد فيها الأمر بالعفو والصفح ، أو الأمر بالصفح ، أو الحض عليهما في البيان القرآني ـ في مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة .

أولا ـ المقدمة : تحدثت فيها عن ضرورة الوقوف على المقام لفهم المقال .

ثانيا ـ التمهيد : ذكرت فيه مفهوم العفو ، والصفح ، والمغفرة .

ثالثا ـ المبحث الأول : مقامات الحض على العفو والصفح عن أهل الكتاب والمشركين .

رابعا ـ المبحث الثاني : مقامات الحض على العفو والصفح في دائرة المجتمع الإسلامي .

خامسا ـ المبحث الثالث : مقامات الحض على العفو والصفح في دائرة الأسرة .

سادسا ـ الخاتمة : و ضمنتها أهم نتائج البحث .

سابعا ـ فهرست الموضوعات وقائمة بأهم المصادر والمراجع .

والله أسأل أن يغفر لي ما قصرت فيه ، وأن يجزي أساتذتي عني خيرا ، وأن يرزقهم وإياي العفو والعافية ، إنه نعم المجيب

مصطلحات البحث

مصطلحات البحث :

(المقام ، العفو، الصفح ، الغفران)

أولا : المقام

المقام في لسان العرب: موضع القدمين ، والمُقام والمُقامة : الموضع الذي تقيم فيه ، ومن المعاني التي تدل عليها الكلمة : المجلس والجماعة من الناس ، والمنزلة الكريمة ، ومناسبة المقال للمقام . ([1])

والمقام عند الدسوقي هو : الأمر الداعي إلى إيراد الكلام مكيفا بكيفية مخصوصة ، وهي تختلف باختلاف المقام . يقول في حاشيته على السعد: "مقامات الكلام أي الأمور المقتضية لاعتبار خصوصية ما في الكلام ... وإذا اختلفت المقامات لزم اختلاف مقتضيات الأحوال لأن اختلاف الأسباب في الاقتضاء يوجب اختلاف المسببات " ([2]).

ويظهر من كلامه أنه لا يفرق بين المقام والحال ، وقد صرح بذلك في قوله :" فإذا كانت مقتضَيات المقامات مختلفة كانت كانت مقتضيات الأحوال كذلك ، لأن مقتضيات الأحوال عين مقتضيات المقامات ، لكون المقامات والأحوال واحد بالذات "

---

[1] . راجع لسان العرب ، مادة : قوم .

[2] . شروح التلخيص ؛ حاشية الدسوقي على شرح السعد ، ج : ١ ، ص : ١٢٥ ، ط : دار السرور ، بيروت لبنان .

ويجعل الزعم بوجود تغاير بينهما قائم على توهم أن الأمرالداعي يكون مقاما باعتبار كونه محلا لورود الكلام فيه على خصوصية ما، وحالا باعتبار كونه زمانا له.([1])

وقد كان صاحب مواهب الفتاح أكثر وضوحا وجرأة حين ساوى بين المقام والحال في قوله:" المقام والحال شيء واحد... وأنه لا فرق بين المقام والحال في الحقيقة"([2])

ثانيا : العفو

مأخوذ من قولهم : عفت الرياح الآثار إذا درستها ومحتها ، والأصل فيه : الفضل ، أو الكثرة ، وقيل : الفضل الذي يأتي بغير كلفة ، أو مسألة ، ويقال : عفا يعفو إذا ترك حقا .(٣) ويقصد به : محو الذنوب ، وترك المجازاة ـ مع القدرة ـ على الذنب قولا أو فعلا .

ثالثا ـ الصفح

يقال : صَفَحْتُ عن ذنب فلان وأَعرضت عنه فلم أُؤَاخذْه به ، وضربت عن فلان صَفْحاً إذا أَعرضت عنه وتركته . (٤) فيشمل ترك المجازاة على الذنب ، وكذلك ترك اللوم والتثريب .وهو بذلك أبلغ وأعم من العفو .

---

[1] . السابق ، ص : ١٢٥ .

[2] ـ شروح التلخيص ؛ مواهب الفتاح في شرح تلخيص تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي ، ج : ١ ، ص : ١٢٦ ، ط : دار السرور ، بيروت لبنان .

[3] . راجع لسان العرب ، مادة : ع ف و .

[4] نفسه ، مادة : ص ف ح .

رابعا ـ الغفران

أَصل الغَفْرِ: التغطية والستر ، يقال : غَفَرَ الله ذنوبه أَي :سترها (١).

ويقال : غَفَرَ المتاعَ في الوعاء يَغْفِرُه غَفْراً ، وأَغْفَرَه : أَدخله ، وستره ، وأَوعاه ، وكذلك غَفَرَ الشيبَ بالخِضاب وأَغْفَرَه : ستره ، والغفران والمغفرة من الله : صون الله للعبد من أن يمسه العذاب ، ولا يكون الغفران مع عقوبة ، بخلاف العفو ، فإنه قد يكون بعد عقوبة ، فيجتمع معها .(٢)

وعلى هذا فالعفو : ترك المعاقبة على الذنب ، والصفح : الإعراض، وترك التثريب ، والغفران : إخفاء الذنب ، وستره .

---

[١] . راجع معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، مادة : غ ف ر .

[٢] . راجع الدر المصون لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ، ط : ١، دارالقلم ، دمشق ، ١٩٨٦م ج : ١ ، ص : ٣٢٦ .

المبحث الأول

مقامات الحض
على
العفو والصفح
عن
أهل الكتاب والمشركين

المبحث الأول :

مقامـات الحـض علـى العفـو والصـفح عـن أهـل الكتـاب والمشركين .

١ . مقـام تـرك مقاتلـة أهـل الكتـاب والإعـراض عـن مسـاوئ كلامهم ليس على وجه الرضى بل لتسكين النفس الثائرة في الوقت، ولئلا نهيج شرا وقتالا.

يقول الحق سبحانه : [وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ] {البقرة:١٠٩}

وردت هذه الآيـة فـي مقام الحديث عن حسد اليهود وغيرهم للمسلمين علـى إسـلامهم ، وبيـان سـبب امتنـاعهم مـن الإيمـان بـالقرآن لمـا قيـل لهـم : [ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ] {البقرة:٩١} ،وتمسكهم بمـا أنـزل إلـيهم قـائلين : [قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا] {البقرة:٩١}

والمتتبع للآ ية في سياقها يجدها قد فُصِلت عن قولـه تعالى : [مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ] {البقرة:١٠٥} ، وكان حق السياق أن يقال : و ود كثير من أهل الكتاب ، إلا أنها لما كانت مصرحة بمفهوم الأولى ، ومبينة لمنطوقها ، فصلت عنها .

فقوله تعالى : " مَّا يَوَدُّ " . الآية . إخبار عن حسد اليهود وغيرهم للمسلمين بدليل أن اليهود أحبوا عدم تنزيل الخير المتمثل في القرآن وفي هذا الدين على المسلمين أشد الحب ، ومعلوم أن حقيقة الحسد تكمن في تمني زوال نعمة الغير ، أما أن يشتهي الإنسان لنفسه مثاها فتلك الغبطة أوالمنافسة ،وهي غير مذمومة .

وأما قوله تعالى : " وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ " ـ الآية . فهو تصريح بحسدهم للمسلمين ، فهم يودون أن لو بقي من أسلم على كفره ، ويودون أن يرجع بعد إسلامه إلى الكفر .

ولما كان الوقوف على سبب نزول الآية معينا على تصوير مقام الكلام فإني أنقل ما ورد في ذلك من أن " فنحاص ابن عازورا وزيد بن قيس قالوا لحذيفة وعمار بعد وقعة أحد: انظروا ما أصابكم ، ولو كنتم على الحق ما هزمتم ، فارجعا إلى ديننا فهو خيرلكم وأفضل، ونحن أهدى منكم سبيلا. فقال لهم عمار: كيف نقض العهد عندكم؟ قالوا: هوشديد ، قال: فإني عاهدت أن لا أكفر بمحمد ما عشت . فقالت اليهود: أما هذا فقد خيبنا. فقال حذيفة : وأما أنا فقد رضيت بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد نبيا ، وبالقرآن إماما ، وبالكعبة قبلة ، وبالمؤمنين إخوانا . ثم أتيا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبراه بذلك ، فقال: "أصبتما الخير وأفلحتما"([1]).

---

[1] . حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي ، جـ : ١ ، ص : ٣٨٨ ، ط : مكتبة الحقيقة . استانبول . تركيا .

وتجدر الإشارة ـ هنا ـ إلى أن النص على بيان سبب النزول لا يفهم منه قصر الآية على تلك الحادثة لعدم ظهور العموم من ألفاظها ، بل هي من الأحوال التي تشير إليها الآية ، فالمراد التمثيل لا التخصيص .

وبالنظر في خصوصيات مقتضى المقام نجد أن القرآن لم يسند الوِدادة ، وهي : التمني ، وشدة الحب إلى معين ، وإنما أخبر بودادة كثير من أهل الكتاب في أن يرجع المسلمون إلى الشرك ، وألا يبقوا على هذه الحال من الإيمان .

كما أن التعبير بفعل الرد في قوله تعالى :[لَوۡ يَرُدُّونَكُم] {البقرة:١٠٩} دون : ودوا لوكفرتم مثلا ، مشير إلى شدة حسدهم ، وامتلاء صدورهم بالحقد والغيظ إلى درجة تمنيهم رد المسلمين ليس إلى اليهودية أو النصرانية ، بل إلى الشرك ، لأن الرد لا يكون إلا لأمر سابق هو الشرك الذي كانوا عليه قبل الإسلام .

ويؤيد ذلك مجيء" كُفَّارًا "معمولا لمعمول " وَدَّ " ، والمعنى أنهم ودوا أن يرجع المسلمون إلى ما اتفق على أنه كفر بالله حتى عند أهل الكتاب ، وهو الإشراك ، فيكون ذلك من التعبير عن مفهوم ما ودوه لا عن صدقه .

وقد حملهم على ذلك التمني وتلك الودادة حسدهم المسلمين حسدا عظيما بالغا إلى أقصى غاياته من حيث أنهم كانوا يتوقعون أن تمون الرسالة فيهم لتدوم لهم الرياسة على سائر الناس ([1])

---

[1] . السابق ، جـ : ١ ، ص : ٣٨٨ .

وهذا الحسد لم يكن منهم على سبيل التدين أو الميل إلى الحق ، بل كان من جهة تشهيهم ، وأهوائهم لأنه كان بعد ما تبين لهم أن ما عليه المسلمون هو الحق ، "ولكنهم شق عليهم أن يتبعوهم ،فتمنوا أن يُحْرَمُوا هذه النعمة ويرجعوا كفارا كما كانوا، وذلك شأن الحاسد يَتَمَنَّى أَنْ يُسْلَبَ مَحْسُودُهُ النِّعْمَةَ ولو لم تكن ضارة به ، فكيف إذا كان يعلم أن تلك النعمة إذا تمت وَثَبَتَتْ يَكُونُ مِنْ أَثَرِهَا سِيَادَةُ الْمَحْسُودِ عليه ، وإدخاله تحت سلطانه ، كما كان يتوقع علماء يهود في عصر التنزيل "([1])

في هذا المقام الذي أفعمت فيه صدور كثير من أهل الكتاب حسدا عظيما بالغا لا تنفك عنه الكراهية والبغضاء للمسلمين لا لشيء إلا إيمانُهم بما نزَّل الله على رسوله نجد الحق ـ سبحانه ـ يأمر المسلمين بالعفو والصفح ، والإعراض عن جواب مساوئ كلامهم ، وأن يقابلوا هذا الحسد وما ينبعث عنه بما يليق بهم من محاسن الأخلاق لا على وجه الرضى بما كان منهم ، بل لتسكين نفوس المسلمين التي تثور في الوقت والحال رغبة في الدفاع عن الدين ، والاستعاضة عن تلك الثورة بحسن الاستدعاء ، واستعمال ما يلزم من النصح والإرشاد ، وبيان وجه الحق والصواب ، وبذلك لا نهيج شرا وقتالا .

وَلا يُراد بالْأَمْرِ بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ ـ هنا ـ الرِّضَا ، بل المراد منه ترك مقاتلتهم ، والإعراض عَنْ جَوَابِهِمْ ، واستعمال ما يلزم من النصح والإرشاد، وبيان وجه

---

[1] . تفسير المنار ، لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني ،المتوفى: ١٣٥٤هـ ، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ،جـ : ١، ص : ٣٤٦.

الحق والصواب ، وبذلك لا نُهيِّج شرا وقتالا ،كما أنه يكون أَدْعَى لِتَسْكِينِ الثَّائِرَةِ وَإِطْفَاءِ الْفِتْنَةِ وَإِسْلَامِ بَعْضِهِمْ.

يقول محمد بن مصلح الدين مصطفى المعروف بشيخ زاده : والمراد بالعفو والصفح المأمور بهما . هنا . : "إما ترك المقاتلة والإعراض عن الجواب عن مساوئ كلامهم ، وإما حسن الاستدعاء ، واستعمال ما يلزم من لهم من النصح ، والإشفاق والسداد فيه "([1])

وفي الأمر بالعفو والصفح إشارة إلى أن المؤمنين . على قلتهم . أصحاب قدرة وشوكة ، لأن ذلك إنما يطلب من القادر على خلافه من الانتقام ورد الكيد .

ولما كان الأمر بالعفو لا يستلزم الأمر بالصفح لأنه أبلغ ـ إذ العفو : ترك عقوبة المذنب ، والصفح : الإعراض عن الذنب بالكلية ، وعدم مواجهة المذنب بذكره ، وعدم لومه ، وترك تثريبه عليه ـ عطف الأمر به على الأمر بالعفو ، كما أنه لم يستغن بالصفح مع عموميته ، وبلاغته ، وشموله عن العفو لقصد التدرج بالمسلمين بما يخالف ما تميل إليه أنفسهم من الانتقام تلطفا من الله مع المسلكين في حملهم على مكارم الأخلاق.([2])

---

[1] . حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي ، ج : ١ ، ط : مكتبة الحقيقة ، استانبول ، تركيا .

[2] . راجع التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور التونسي ، جـ : ١، ص : ٦٧١ ، نشر : الدار التونسية للنشر – سنة :١٩٨٤ هـ .

ولذلك جاء حذف معمول فعلي العفو والصفح ،متناغما مع جوهر الصفح ، وعلة عطفه على الأمر بالعفو ، ومع ترتيب العفو وتعقيبه على ما كان من ودادة كثير من أهل الكتاب والمشركين رد المؤمنين إلى ما كانوا عليه من الشرك، إذ يراد منه : عموم وشمول جميع الناس بالعفو والصفح ،فذلك هو اللائق بشأن من اختصهم الله برحمته وعظيم فضله .

ونظرا لأن عفو المسلمين وصفحهم عن أهل الكتاب في هذا المقام مما تثتثقله نفوسهم بسبب ما ودوه من رد المؤمنين إلى ما يكرهونه وهو الكفر، جاء الأسلوب على طريق الخطاب بما يوحي بإقباله ـ سبحانه ـ عليهم ، وأنهم في جواره ومعيته،فيدفعهم ذلك للامتثال لأمره ـ سبحانه ـ والإعراض عن مساوئ كلامهم .

ثم تراه قد التفت إلى أسلوب الغائب في قوله :" حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ" ليسند الاتيان بالأمر ، والقدرة المطلقة على كل شيء إلى لفظ الجلالة بما يوحي به من فخامة وتعظيم ، وما يبثه من روعة وإجلال ، وما يغمرهم به من سكينة وطمأنينة .

كما جعل للعفو والصفح غاية هي اتيان الله بأمره ، وفيه ـ مع كونها مبهمة ـ تطييب لخواطر المأمورين حَتَّى لَا يَيْأَسُوا مِنْ ذَهَابِ أَذَى من ودوا لهم ذلك بَطَلًا ، وحمل لهم على تنفيذ ما أمروا به تشبها بالخالق قدر طاقتهم البشرية ، وتعلما منه حيث قال في نهاية الآية معللا ذلك الأمر: " إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ] {البقرة:١٠٩} ، وهو ـ سبحانه ـ يعفو،ويصفح .

****

٢ـ مقام تحري ما يحبه الله من الإحسان والفضل ، وإيثارهما على ما يقتضيه العدل في معاملة أهل الكتاب طمعا في تأليف قلوبهم ، وندبا إلى مخالفتهم .

قال تعالى : [فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ] {المائدة:١٣}

ورد ت هذه الآية في سياق الحديث عما اقترفه بنوإسرائيل من إقدام على نقض ميثاقهم الذي كان يتضمن عهدا من الحق . سبحانه . إن هم أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وآمنوا برسله ، وعزروهم ، وأقرضوا الله قرضا حسنا . أن يكفر عنهم سيئاتهم ، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، وأن من كفر بعد ذلك فقد ضل سواء السبيل .

فلما نقضوا ذلك الميثاق ، وأقدموا على تحريف كتاب الله ، وإخفاء ما فيه مما ينص على صفته . صلى الله عليه وسلم . ويوجب عليهم اتباعه والإيمان به ونصرته ، متجاوزين ذلك إلى خيانة الرسول . صلى اللع عليه وسلم . ومحاولة قتله كما ذكر المفسرون ([1]).

ولا شك أن هذا مما يضيق به صدره . صلى الله عليه وسلم . خاصة مع تكرار ذلك منهم ، وتنوع وسائله ([2]) مما يكون سببا في عدم التحلُّم عليهم ،

---

[1] . راجع الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ، ج : ٢ ، ص : ٣٦٢ .

[2] . راجع نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ، ج : ٦ ، ص : ٥٩ .

والمبادرة بمعاقبتهم فيكون ذلك خروجا عن دائرة الإحسان ، في غير مقام المناوأة والخصومة ، لذا يأمره ـ سبحانه ـ بالعفو عنهم والصفح ، إيثارا لما يقتضيه الإحسان والفضل على ما يقتضيه جنس العمل والعدل من المبادرة بالعقوبة على خيانتهم ، وإقدامهم على محاولة قتله ـ عليه السلام ، مخالفة لهم في أخلاقهم وتصرفاتهم التي تمليها عليهم قلوب أفعمت غيظا وحسدا ، وربما يؤدي ذلك إلى تأليف قلوبهم ، ودخولهم الإسلام.

وقد جاء الأمر ـ هنا ـ بصيغة : " افعل " التي يطلب بها إنشاء فعل غير موجود ، وكأن الحق ـ سبحانه ـ يرسم للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذلك طريقا غير مسلوكة ، وسياسة غير متبعة ، ومعاملة غير مألوفة مع من ينقضون العهود ، ويخونون المواثيق ، هي سياسة العفو والصفح دون تردد ، ولا تلكؤ ، أو تأخير ، وهذا النوع من السياسة لا تلين إلا للقادر عليها ، ولا تستوي إلا لمن يقوى على امتلاك زمام نفسه عند مثيرات الغضب ، وموجبات الانتقام .

واستخدام الفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب في عطف الأمر بالعفو والصفح ، وترتيبه على ما اقترفته بنو إسرائيل ، موجِّه إلى التعجيل بالعفو عنهم والصفح ، حتى لا ننشغل بالرد عليهم ، عن معالي الأمور ، وسامي الأهداف ، ولئلا تضيق الصدور بالعداوة والكراهية فلا يصبح فيها مكان للتسامح ، والعفو والصفح .

والنص ـ هنا ـ على معمول فعل العفو وهو : " عنهم " ليس الغرض منه تخصيصهم بذلك المنهج في التعامل خاص بهم دون سواهم ، وأن غيرهم إن

نقض العهد ، وخان المواثيق يجب قتاله ، بل النص عليه مشير إلى أن عفو الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عنهم إنما هو من التجاوز عنهم ، والإحسان إليهم ، والتفضل عليهم ، فهو عفو المستعلي عليهم ، المتمكن منهم .

ولما كان في الأمر بالعفو الصفح في مثل هذا المقام ما فيه من ثقل على نفس الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ التي تكره بطبعها السليم نقض العهد والخيانة ، فإنه ـ سبحانه ـ يعلل ذلك الأمر ـ مرغبا في العفو ، و محببا الصفح ـ بقوله : [إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ] {المائدة:١٣}، ، وكأن العفو والصفح في مثل هذا المقام مما يُدخل صاحبه دائرة المحسنين الذين يحبهم رب العالمين ، وليست هناك جائزة أفضل من فوز الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن تخلق بأخلاقه في معاملة أهل الكتاب بحب المولى عز وجل .

****

٣ . مقام تصبير الرسول . صلى الله عليه وسلم . على ما أصابه من أذى المشركين ، وتوجيهه إلى الإعراض عنهم ائتساء بمن سبقه من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام .

قال تعالى : [وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ] {الحجر:٨٥}

وردت هذه الآية في سياق حديث سورة الحجر عن إنكار المشركين لنبوة الرسول . صلى الله عليه وسلم . وجحودهم لما جاءهم به من البينات ، وإصرارهم على عدم الإيمان عنادا وكبرا ، وكأن الكفر سجية فيهم لا يقلعها إظهار الآيات ، وكيف أنه . عليه السلام . كان يعظم حزنه ، ويشتد أسفه ، ويضيق صدره بسبب ذلك .

وقد كان . عليه السلام . يحب دخولهم في الإسلام أشد الحب ،ويحرص عليه أشد الحرص ، إلا أنهم . بسبب تعنتهم . كانوا يطلبون معجزات مخصوصة ، كأن يأتيهم بالملائكة لتشهد له بالنبوة إن كان صادقا مع سخريتهم منه واتهامهم له بالجنون ، وذلك في قوله تعالى :[وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ٦ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ٧] {الحجر } .

وقد علم الله من أحوالهم ، وأحوال الأمم السابقة أنهم سيظلون على الكفر مع إنزال الملائكة ، ولا يكون إنزالها إلا بالحق ، وعند حصول فائدة ، وأنها إذا نزلت لم ينظروا ، كما أن حكمته . سبحانه . قد اقتضت إمهالهم .

المقام ـ هنا ـ قد ارتسمت معالمه وبدت فيما يموج به صدر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويعتمل في قلبه من مشاعر الحزن الشديد ، والغم القاتل بسبب عناد القوم واستكبارهم ، واليأس الذي يطل برأسه فيدفعه الرجاء في صيرورتهم إلى قبول الحق الذي ما قامت السماوات والأرض وما بينهما إلا به وعليه ، والأماني المترددة بين إجابة الله لما طلبوا من الآيات أوعدمها ، طمعا في إيمانهم وخوفا من إهلاكهم إن هم ظلوا بعدها على كفرهم .

كل هذا والقوم لا يكفون عما استمرأوه من توجيه الأذى للنبي ـ صلى الله عليه وسلم . استهزاءا ، وسخرية ، واحتقارا وهم مصرون على عدم التزحزح عما هم عليه من السفاهة والجهالة والعناد والاستسلام لأهوائهم الرافضة لقبول الحق.وهو يرجو أن لو امتلك القدرة على تحصيل الإيمان في قلوبهم .

كل هذا صائر لا محالة ـ في ظل الجبلة البشرية التي تتسم بمحدودية القدرة على التحمل ، والمزاج الإنساني الذي يتسم بالتقلب ، وقلة حيلته ـ بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى إهلاك نفسه وجْدا وكمدا .

فيأتي الأمر بالصفح الجميل : [فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ] {الحجر:٨٥}ليكفكف من حدة هذا الوجد ترفقا به ، وتصبيرا له ـ عليه السلام ـ ، أي : " فأعرض عنهم ، واحتمل ما تلقى منهم إعراضا جميلا ملتبسا بحلم وإغضاء ، ولا تكافئهم بما آذوك قولا ، وفعلا ... ولا تترك نصحهم ودعائهم إلى الحق مع ذلك "([1])

---

[1] . حاشية شيخ زادة ، جـ : ٣ ، ص : ١٦٢ .

والمتأمل في خصوصيات مقتضى المقام ـ هنا ـ يقف على نجاعة الصفح الجميل في ذلك ، ويدرك مدى ثقله على نفس الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكأنــه لا يقـوى عليــه إلا مـن اتسـع صـدره ، وطهـرت نفسـه ، وامتـد حلمـه ، ومـلأت الرحمــة بالنــاس قلبــه. ممــا اســتدعى أمــرين : الأول : التمهيــد لــه ،والآخر: الترغيب فيه والتعليل له .

فكان من التمهيد له :

أولا : بيان أن المشركين لم يكونوا بدعا فيما كانوا عليه من كبر وجحود وعنـاد ، بـل كانـت تلـك حـال الأمـم وديدنها مـع أنبيـائهم ،فيهـون لديـه أمـرهم ، ويســهل عليــه تحمــل ســفاهاتهم ، ولــذلك أوردت الســورة قصــة قــوم لــوط ، وأصحاب الأيكة ، وأصحاب الحجر .

ثانيا : بيان أن الله لم يخلق السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ، ويقصد به ـ هنـا ـ إجراء أحوال المخلوقات علـى نظـام ملائـم للحكمـة فـي كل نـوع بمـا يليـق بـه ، ويَصلُح لـه ، ويُصلحه ، ولا يتخلـف ذلـك فـي شـيء إلا لمناسبة ، ثم لا يتبدل الحق ، ولا يتخلف آخر الأمر .وهذا يفهم منـه أن تـأخر إيمان من لم يؤمن بداية ربما كان انتظارا لحدوث الإيمان في قلوبهم عن نظر واختيار .

ثالثا : التأكيد على أن ساعة إنفاذ الحق آتية لا محالة ، وهذا أدعى لعدم تسرب الريبة إلى القلب بسبب رؤية المستهزئين وقد سلموا من العقاب([1]) .

[1] . راجع التحرير والتنوير ، جـ : ١٤ ، ص : ٧٥ .

الآخر : الترغيب فيه والتعليل له وكان منه :

أولا : قوله تعالى : [إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ٨٦] {الحجر:٨٦ } فهو الذي يعلم بما يصلح لهم ، ويصلحهم ، وأن الصفح فيه مصلحة للنبي هي كمال أخلاقه ، ومصلحتهم فيه رجاء إيمانهم .

ثانيا : قوله تعالى : [وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ] {الحجر: ٨٧} وفيه إتباع الأمر بالصفح بذكر ما خُص به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من النعم الجليلة ، لأن الإنسان إذا تذكر نعم الله عليه سهل عليه الصفح والتجاوز .

ثم تأمل كيف سار الأسلوب على طريق التكلم بما يوحي به من عظمة وكبرياء ، وما يبثه من من هيبة وإجلال عندما يسند خلق السموات والأرض وما بينهما إلى ضمير العظمة ، مؤكدا بطريق القصر على أن ذلك لم يكن إلا بالحق ، و بـ " إنَّ " و"اللام " و " اسمية الجملة " على أن الساعة آتية ، وما يوحي به من وعد ووعيد ، وعد لمن آمن وصدق وأسلم وجهه إلى الله، ووعيد لكل من خالف وعاند وتكبر .

في ظل هذا الجو الذي تشيع فيه العظمة والجلال ، ويتجلى فيه الوعد والوعيد ترى الأسلوب يلتفت لخطاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمرا إياه في رفق ولين بالصفح الجميل .

الالتفات ـ هنا ـ تمحيض للخطاب للرسول ـ صلى الله عليه ـ ، وتشريف لقدره ، وربط لجأشه ؛ ليعلم أن الذي كلفه بالرسالة ، ما كان ليتركه لضعفه

وقلة حيلته ، وإيذان بانصرافه ـ سبحانه ـ عنهم ، كما أنه يفيض بالعطف ، ويشعر بقرب الحق من الرسول ـ عليه السلام ـ عناية به، ولطفا له .

وتعريف الصفح ـ هنا ـ ووصفه بالجميل مشير إلى إلف الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ به ،ومزاولته له ، وكأنه يقول : فاصفح الصفح الجميل الذي تعرفه ، وتتخلق به ، ونعهده فيك .

ثم تأمل تكرار حروف : الصاد ، والفاء ، والحاء ، وهي من الحروف المهموسة ، في قوله : " فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ " ، وما يوحي من انخفاض نبرة الأمر ، وكأنه يهمس به في أذنه ، وكأني بالأمر ـ هنا ـ قد خرج من حده و دائرته التي يطلب بها إنشاء فعل إلى التوجيه ، والإرشاد لما تطيب به النفس ، ويزول معه الغم ، وينجلي به الحزن من الصفح الجميل .

****

٤ . مقام حجاج الرسول . صلى الله عليه وسلم . للمشركين في ادعائهم بنوة الملائكة لله تنزيها له . سبحانه وتعالى . عن الشريك في الإلاهية .

قال تعالى : [قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ٨١ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٨٢ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ٨٣ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ٨٤ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٨٥وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ٨٦ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ٨٧ وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ٨٨ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ٨٩] {الزخرف}

ورد الأمر بالصفح . هنا . في نهاية سورة الزخرف التي فندت أباطيل المشركين ، وأبطلتها بما ساقته من براهين واضحة على واحدانية الله سبحانه وتعالى ، ونزهته عن الشريك في الإلاهية ، مُعجِّبة من حالهم في الجمع بين الاعتراف بمخلوقيتهم لله ، وعبوديتهم للأصنام شركاء له . سبحانه . في الإلاهية .

وكان القوم قد ساقوا حججهم الواهية على ما يدعونه من صحة عقيدتهم ، ويتمسكون به . باطلا وكبرا وعنادا . من عبادة الأصنام زعما منهم أنها صور للملائكة ، وأنهم حين يعبدونها، فإنهم يعبدون

بنات الله ، مستدلين على صحة مسلكهم بالنصارى يعبدون عيسى . عليه السلام . زعما منهم أنه ابن الله .قال تعالى: [وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ٥٧ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ٥٨ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٥٩] {الزخرف }

وقد كان يتصدى لمجادلة النبي . صلى الله عليه وسلم . والتشعيب عليه نفر من أئمة الكفر مثل أبي جهل ، وأمية ابن خلف ،وشيبة بن ربيعة ، وأخيه عتبة ، والوليد بن المغيرة ، والنضر بن عبدالدار ممن قتلوا يوم بدر([1]).

والمتأمل في السياق الكلي لسورة الزخرف يجدها قد اتجهت منذ البداية إلى تغليب لغة الحجاج العقلي في محاولاتها إثناء المشركين عما هم عليه ، وإقناعهم بأنهم ليسوا على شيء من الحق ، منوهة بالقرآن الكريم وعلو شأنه ،يقول . سبحانه . : [حمٓ ١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ٤] مراعية التسلسل المنطقي والتدرج العقلي ،والنفسي في عرض الحجج والبراهين الدالة على وحدانية الله . سبحانه وتعالى . وعدم وجود شريك له في الإلاهية

حيث بدأت بإثبات أن إرسال الرسل إنما هو سنة الله في إرشاد عباده إلى الحق بما يعني أن الرسول . صلى الله عليه وسلم . ليس بدعا فيما يدعو

---

[1] . راجع التحرير والتنوير جـ : ٢٥ ، ص : ٢٦٦ .

إليه ، موجهة إياهم إلى النظر فيما يحيط بهم من نعم تفضل الله بها على عباده من جعل الأرض مهدا ، وسلْك السبل فيها ، وإنزال الماء بقدر من السماء ، وخلق الأزواج ، وتسخير الدواب والبحار ليركبها الإنسان .

وهي نعم يقرون بمخلوقيتها لله . سبحانه . ولكنهم يفقدون التصور الصحيح للألوهية ، كما أنهم لا يدركون ارتباطها بالخط الصحيح للعقيدة حتى يكون إقرارهم بها إقرارا ملزما لهم بالعقيدة كنتيجة طبيعية للرابطة الوثيقة التي تربط بينهما ([1]).

كما ذكرتهم بأحوال الأمم السابقة مع رسلهم وأنذرتهم بمثل عواقب تلك الأمم إن هم سلكوا مسلكهم في تكذيب الرسل والاستهزاء بهم ، حتى وصلت إلى قمة التجرد في الحوار معهم على لسان الرسول . صلى الله عليه وسلم . وذلك في قوله تعالى : [قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَٰبِدِينَ ٨١] {الزخرف} "أي إن كان ذلك وصح ، وثبت ببرهان صحيح فأنا أول من يعظم ذلك الولد ، وأسبقكم إلى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه "([2]) وبالتالي فوجود ولد لله باطل بدليل أنه عليه السلام لم يعبد أحدا على أنه ولد لله ، فاستدل بانتفاء الثانية على بطلان الأولى .([3])

---

[1] . راجع الحوار في القرآن . قواعده . أساليبه . معطياته ، ت : محمد حسين فضل الله ، ص : ١٩١ ، ١٩٢ .ط : ٥ ، سنة ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م ، نشر : دار الملاك ، بيروت ، لبنان

[2] . حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي ، جـ : ٤ ، ص : ٢١٠ .

[3] . راجع التحرير والتنوير ، جـ : ٢٥ ، ص : ٢٦٤ ، وما بعدها .

أُخرج الكلام . هنا . مخرج الشك للمبالغة في العدل والمظاهرة في الاحتجاج[١] ، وهو قمة التجرد من التعصب أو أي مؤثر خارجي في عرض الحجة . من الرسول صلى الله عليه وسلم . على المشركين سوى العقل ، والمنطق ، والبحث عن الحق .

وهو بذلك ينفي أصل التعدد بنفي أخص أحواله وهو التعدد بالأبوة والبنوة فينتفي بالضرورة تعدد الآلهة الأجانب بدلالة الفحوى ، ويكشف عن زيف ما ادعوه من بنوة الملائكة ومشاركتها له . سبحانه . في الإلهية .

ومع وضوح الحجة ، وسطوع البرهان على تفرده سبحانه بالإلاهية يعرض القوم عن الإقرار بذلك متمادين في التمسك بالباطل ، مما يعني أن القصد من حديثهم لم يكن تحري الحق بل مجرد الخوض في الباطل جدالا عنه ، ولعبا .

ولذلك يوجه الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم إلى أن يتركهم في ضلالهم ، حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون قائلا :[فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ٨٣].

---

[١] . ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي ، وعبدالقاهر الجرجاني في الدراسات القرأنية والنقدالأدبي ، ص : ١٠٥ ، ت : محمد خلف الله أحمد ، ود. محمد زغلول سلام ، ط : ٣ دار المعارف ، وراجع أيضا : تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الإصبع ، ت : حفني محمد شرف ، ص : ١٢٠ .

وفيه إلى جانب ذلك تأييس للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من إجداء الحجة فيهم ، ترفقا به لشدة حرصه ـ صلى الله عليه وسلم ـ على إيمانهم .

المقام ـ هنا ـ مفعم بعناد القوم ،و تكبرهم على الإذعان لما يقتضيه المنطق ، ويحكم به العقل بعيدا عن التعصب للباطل الذي وجدوا عليه آباءهم ، وجدالهم عنه ، وبلوغهم بالخوض فيه حدا لا يمكن النكوص عنه ، ولا رؤية نور الحق عنده على الإطلاق .

هذا في الوقت الذي ترى فيه حرص الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على إثناء القوم عما هم عليه ، وانتشالهم مما انغمسوا فيه من ضلال ، وإشقاقه ـ صلى الله عليه وسلم ـ على نفسه حبا في عودتهم للحق ، وإشفاقا عليهم من أخذه ـ سبحانه ـ وغيرة على كتاب الله ، وعقيدة التوحيد .

لقد كان يحزنه ـ عليه السلام ـ ما يرى من عناد القوم وتكبرهم على الحق ، وخوضهم في الباطل وهم يعلمون ، وتصديهم للدعوة بالجدال ، والتشعيب ، والتشكيك إلى حد يتبدد معه الأمل في هدايتهم ، ويخيب معه الطمع في إيمانهم ، ويخيم فيه اليأس من إذعانهم للحق وهم راضون، حتى ينادي ربه نداء من ضعفت قوته ، وقلت حيلته ، وهان أمره قائلا : [يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ٨٨] {الزخرف} لعدم إجداء الحجج فيهم .

فيأتي الأمر من الله ـ سبحانه ـ للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في هذا المقام ، بالصفح عنهم إعراضا ومتاركة ليكفكف من أحزانه ، ويذهب عنه ما ألم به من آلامه ، ويضع عن كاهله عناء التصدى لعناد القوم ، وكبرهم ،

واستهزائهم ، وكيدهم له في السر والنجوى في قوله تعالى : [فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُون] .

وذكر الجار والمجرور معمول فعل الصفح ، فيه إشارة إلى معاني : التجاوز عنهم ، والاستعلاء عليهم ، فكأنه . عليه السلام . يعرض عنهم إعراض القادر المستعلي قائلا : "سلام " أي : " سلمنا لكم في المجادلة ، وتركناها ، وأصل " سلامٌ " مصدر جاء بدلا من فعله ، فأصله النصب ، وعدل إلى رفعه لقصد الدالدلالة على الثبات "([1]) .

ثم زيلت الآية بقوله : [فسوف يعلمون] وفيه تهديد شديد ، ووعيد عظيم من الله لهؤلاء المعاندين المتكبرين .

[1] . التحرير والتنوير ، ج : ٢٥ ، ص : ٢٧٣ .

المبحث الثاني
مقامات حض المسلمين
على
العفو والصفح
فيما بينهم
توحيدا للصف

المبحث الثاني :

مقامات حض المسلمين على العفو والصفح فيما بينهم توحيدا للصف .

١ . مقام الحض على مجاهدة النفس لئلا تجازي على الإساءة تصدر ممن تحسن إليهم قطيعة ومنعا بما يستدعي ألفة القلوب ، واتحاد الكلمة .

قال تعالى : [وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ] {النور:٢٢}

وردت هذه الآية الكريمة في مقام تحضيض أبي بكر . رضي الله عنه . على مجاهدة نفسه ومغالبتها فيما دعته إليه من قطع الإنفاق على ابن خالته مسطح ابن أثاثة بسبب خوضه مع من خاضوا في مقالة الإفك([١]).

---

[١] . راجع مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ، ت :أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي ، جـ : ٢٣ ، ص : ٣٤٠ ، نشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط : ٣، سنة : ١٤٢٠ هـ . و تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ، ج : ٦ ، ص : ١٦٥ ،نشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

وعندما تتأمل في ملابسات ذلك المقام تجد أن تصرف أبي بكر . رضي الله عنه . لم يكن بمنأى عن طبيعة النفس البشرية التي تتسم بمحدودية الطاقة في تحمل الأذى النفسي ، والتجريح المعنوي الذي تُخلِّفه سهام الزور والبهتان عندما توجه إليها وهي بريئة غافلة .

كما أنك تقف على مدى المعاناة التي تحملها . رضي الله عنه . بسبب شيوع مقالة الإفك التي اختلقها المنافقون ، وروّجوها بين نفر من سذج المسلمين ، كان منهم من يعوله أبو بكر . رضي الله عنه . .

المقام . هنا . مفعم بالآلام والجراح ، والأحزان التي زاد فيها ، وضاعف منها : صدور سهام الزور والبهتان تلك من قريب له كان . رضي الله عنه . يحسن إليه ، ويحنو عليه .

والإساءة إذا صدرت من غير مكانها كان وقعها على النفس أشد وأقسى من وقع الحسام المهند ، ومع ذلك كله لا يوجهه الحق . سبحانه . إلى عدم قطع بره ، ومنع فضله فحسب ، بل يحضه على العفو والصفح ابتغاء مرضاة الله ، وغفرانه ، وذلك من أعظم المجاهدات على الإطلاق .

وقد وصف الحق . سبحانه . أبا بكر . رضي الله عنه . بما يدل على علو شأنه ، وارتفاع منزلته ، ويكشف عن أهليته لذلك العفو والصفح في أسلوب الخطاب، وذلك في قوله . تعالى . : [أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ] {النور:٢٢} (١) فجعله صاحب الفضل على الإطلاق ، وميزه عن سائر

---

١ . "أُولُو" كلمة تدل على معنى الجمع، وليس لها مفرد من لفظها، ولكن لها مفرد من معناها ، فـ "أُولو فضل " معناها: أصحاب فضل؛ وهي مرفوعة بالواو نيابة عن

المؤمنين بكونه مستجمعا للتعظيم لأمر لأمر الله ، والشفقة على خلق الله ، وهما من أعلى مراتب الصديقين ([1]).

ثم ترى الكلام عند الأمر بالعفو والصفح يلتفت إلى أسلوب الغائب في قوله : " وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوَاْ " ؛ لينزل المأمور به منزلة رفيعة ، لأن توجيه الأمر إلى الغائب لا يكون إلا على معنى التبليغ . وهو غير مراد هنا . أو تنزيل الحاضر . لاعتبار ما كتفخيم شأنه وتعظيمه . منزلة الغائب .

كما أن إيثار الأمر بصيغة المضارع المقترن بلام الأمر دون صيغة فعل الأمر يشير إلى أن سجية أبي بكر . رضي الله عنه . وخلقه العفو والصفح ؛ فالمضارع دال بصيغته على التجدد ، ومزاولة الفعل ، فإذا اقترنت به لام الأمر لاقى حال المزاول له ، المتلبس به ، بخلاف صيغة : " اعف و اصفح " التي يطلب بهما إنشاء العفو والصفح ، وإيجادهما من غير المتلبسِ بهما، المزاولِ لهما ، وهذا يرشح . عندي . استعمال لام الأمر . هنا . مجازا في لازم معناه ، وهو : التحقيق ، ويكون المعنى: أن عفو ،و صفح أولي الفضل والسعة واقع لا محالة ، لأنهم متلبسون به ، مزاولون له على سبيل التجدد عند وجود داعيه من وقوع الأذى ونحوه عليهم .

الضمة؛ لأنها ملحقة بجمع المذكر ، وتنصب وتجر بالياء نيابة عن الفتحة أو الكسرة . ينظر: النحو الوافي لعباس حسن ، ج : ١ ، ص : ١٤٨ ، ط : ١٥ ، دار المعارف ، القاهرة .

[1] . راجع تفسير الرازي ، جـ : ٢٣ ، ص : ٣٥٠، ٣٥١ .

فكأن الحق ـ سبحانه ـ يداوي بذلك جراحه ـ عليه السلام ـ ، ويطيب خاطره ، ويمسح عنه ما ألم به من هم وحزن عظيمين عن طريق تذكيره بما آتاه الله من فضل وسعة ، وتوجيهه إلى العفو والصفح ، وكأنه لا ينبغي لمن كانت هذه صفته ، وتلك سجيته إلا أن يعفو ويصفح ابتغاء وجه الله ، ورجاء مغفرته .

وتلاحظ أن الآية الكريمة ـ في مقام تحضيض أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ على مجاهدة نفسه ومغالبتها فيما دعته إليه من قطع الإنفاق قد ذكرت معمول الفعل :"يؤتوا " ، وحذفت معمول فعلي: العفو والصفح ، وذلك في قوله تعالى:" وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ] {النور:٢٢} ليفيد أن عفوه وصفحه ـ عليه السلام ـ ليس خاصا بأولي القربى ، والمساكين ، والمهاجرين في سبيل الله ، بل يتجاوزهم ليشمل ، ويعم كل من خاض في هذا الحديث ، أو آذاه ـ عليه السلام ـ بأي لون من ألوان الأذى ، فذلك أليق بشأن من شملهم الله بفضله وسعته ، وأجلب لمغفرته ـ سبحانه ـ .

ثم رغبت الآية في العفو والصفح ، والتفضل ، بقوله : [أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ] بما فيه من إشارة إلى حب الله للعفو والصفح ، والمعنى : أنكم تحبون أن يغفر الله لكم ، والله يحب أن تعفوا وتصفحوا ، فافعلوا ما يحبه الله ، حتى يفعل الله ما تحبون .

وقد زيلت الآية بما يدل على مبالغته ـ سبحانه ـ في المغفرة والرحمة مع كثرة ذنوب العباد ، فكان من التوفيق والسداد أن يتخلق المرء ، ويتأدب بأدبه سبحانه .

****

٢ ـ مقام ترغيب القادر على الانتصار لنفسه ممن أساء إليه في العفو تهدئة للنفوس ، واحتياطا من التجاوز في الانتصار حال الحرد والتهاب الحمية حفاظا على أواصر الأخوة الإسلامية ، والروابط المجتمعية ، وتحصيلا لما عند الله من أجر .

قال تعالى : [وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠] الشورى

ورد التوجيه إلى العفو ـ هنا ـ في سياق الحديث عما أوتيه من يجادلون في آيات الله ـ الدالة على وحدانيته ، وقدرته المطلقة ، وقيوميته على شؤون الكون ـ من متاع الدنيا وما يتصف به من حقارة بسبب زواله، وسرعة انقراضه ، في مقابل تعظيم ما عند الله من متاع في الآخرة بسبب دوامه ، وخيريته المطلقة ، وبيان استستحقاقه ، وحصوله للذين آمنوا به ـ سبحانه ـ ولم يتوكلوا إلا عليه حال اجتنابهم كبائر الاسم والفواحش واتصافهم بما ذكرته الآيات .

ويكشف التأمل في السياق الذي ورد فيه التوجيه إلى العفو في هذه الآية عن عدم اختصاصه بحادثة معينة ، لأن الآيات إنما ترسم ملامح وسمات المتقين الذين يفوزون بالمتاع الأبدي الذي لا يدركه نقص ولا زوال والتي جاء منها العفو عن الظالم مع القدرة على الانتصار منه .

قال تعالى : [وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ٣٥ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ

لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ٣٧ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٨ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ٣٩ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ٤١ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٢ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ٤٣]

وقد سبقت هذه الآية بالنص على أنهم إذا أصابهم البغي هم ينتصرون

ولا تناقض بين الانتصار حين حدوث البغي ، والعفو عن الظالم لأن الغفران عبارة عن التجاوز عن ذنب الذليل العاجز تسكينا للفتنة ، وحفظا لأواصر الأخوة الإسلامية بين المظلوم وظالمه ، والانتصار من الباغي هو الانتقام من الظالم الغالب المتمادي في غيه، المصر على جرمه ، فلّا لحده ، وكسرا لشوكته ، حتى لا يتبجح الشر ويطغى .([1])

والضمير " هم " في قوله : " وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ " لا يفيد القصر ، بل يؤكد على أن الدافع إلى العفو . هنا . ليس الطمع فيما عند الله فحسب بل الخوف من الظلم عند الانتصار ، فجزاء السيئة لا يكون إلا بالسيئة . ولعل المشاكلة بين السيئة التي هي اعتداء وبين دفع الاعتداء

[1] . راجع حاشية زاده،ص : ١٨٨، جـ :٤، وحاشية الشهاب ص: ١٠٧ ، جـ : ٧

تهدف إلى تبغيض الانتصار في نفس المظلوم ، وتنفيره من الاقتصاص وأخذ الحق ، والاحتياط من الوقوع في الظلم .

وقد رغبت الآيات . هنا . في العفو عن الظالم مع القدرة على الانتصار منه ليس طمعا فيما عند الله من أجر عظيم لايدرك كنهه فحسب بل الخوف من الظلم والتجاوز عند الانتصار فجزاء السيئة لا يكون إلا سيئة مثلها رعاية بالمماثلة وعدم التجاوز .

وذلك مشروط بألا يؤدي العفو إلى الإفساد فإن أدى إلى ذلك بسبب تمادي المعفو عنه ، كان إنزال العقوبة به أولى .

والتذييل بقوله تعالى: [إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ] عقب التوجيه إلى العفو فيه زيادة ترغيب ، وفضلُ حضٍّ على الغفران خشية التجاوز والظلم عند الإقتصاص وأخذ الحق .

ويظهر أن العفو هنا لايقوى عليه إلا الأشداء الذين يتحلون بعظائم الأمور بدليل قوله : [وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ٤٣].

وتتجلى مظاهر تلك القوة في السيطرة على الغضب الذي هو طبيعة لا تكاد تخلو عنه نفس وإنما خص الغضب بلفظ الغفران بسبب صعوبة مقاومته وشدة استيلائه على النفس ولأن إنسان كثيرا ما يفقد صوابه وسيطرته حال استيلائه عليه فإذا ما استطاع أن يكظم غيظه كان دليلا على قوة إيمانه وعلى ملكه لنوازع نفسه خاصة ، وأما ترك الانتصار للنفس المكلومة بالقول أو

الفعل من أشق شيء عليه والصبر على الأذى والصفح عنه ومغفرته ومقابلته بالإحسان أشق وأشق ولكنه يسير على من يسر الله عليه . ([1])

****

[1] . راجع تفسير السعدي .

٣ . مقـام العفـو عنـد موجبـات التقريـع والسـطوة ، والعنـف والغلظـة توحيـدا للصـفوف ، وتجميعـا للقلـوب ،وتسـكينا للخـواطر، وقطعا لأطماع الأعداء ، ونزولا علـى مـا تستوجبه سياسـة الأمـة من استنزال طائرها حتى تزعن للحق .

{۞إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ١٥٣ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ١٥٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١٥٦ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ١٥٧ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ١٥٨ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩]

نزلت الآيات عقب غزوة أحد ، وكان المسلمون قد أصروا على الخروج لقتال المشركين لئلا يقال : ضعفوا وجبنوا ، وكان عليه السلام يكرهه ، ويرى

البقاء في المدينة والتحصن فيها ، وإن حاول المشركون اقتحامها قاتلهم فيها .

ولم يزل الناس بالرسول صلى الله عليه وسلم حتى دخل بيته فلبس لأمته ، وخرجوا جميعا ، فكان ما كان من هزيمة المسلمين ، وما خلفه ذلك في نفوسهم شعور باليأس ، وخيبة الرجاء .

وقد جاءت الآيات مهيجة غيرة المؤمنين على إيمانهم ، وناهية لهم . بسبب ما لاح عليهم من انكسار . عن الوهن والحزن لما يترتب على هاتين الحالتين النفسيتين من الاستسلام وترك المقاومة ، ومبينة لهم أن ما لحقهم من هزيمة غير عجيب ولا مستغرب في الحروب ، فسنة الله مداولة الأيام بين الناس تمحيصا ، وتخليصا من العيوب ، وزيادة للمسلمين في تزكية أنفسهم .

يقول سبحانه : [وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤١ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢]

كما وجههم الآيات للاعتبار بصبر وثبات من سلف من أتباع الرسل والأنبياء على دينهم ، ليس في حال هزيمتهم فحسب بل مع موت أنبيائهم ، وكيف كانوا يتحلون بثبات القلب ، ورباطة الجأش إذا نزلت بهم الشدائد ، واعتصرتهم الملمات ، فما كان من الله إلا أن آتاهم ثواب الدنيا وحسن ثواب

الآخرة ، وأتباع محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إن لم يكونوا أجدر بذلك منهم فلا ينبغي لهم أن يكونا أقل شأنا في ذلك .

يقول ـ سبحانه ـ [وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٤٧ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٤٨]

والآيات تحمل ما تحمل من التوبيخ واللوم ، والعتاب والتسلية كاشفة عن طائفة أخرى قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية معتقدين أن خروجهم يوم أحد كان خطأ ، كما كانوا يظنون أن محمدا عليه السلام ليس رسولا ، وأنه لوكان كذلك لما لحقتهم الهزيمة .

يقول تعالى : [وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٥٤]

وطائفة أخرى أخلصت في ميدان المعركة حتى إذا لاحت بوادر النصر وملامحه في الأفق ، وأقبلت ريح الهزيمة تزكم أنوف المشركين ، فشلت ، وتنازعت فيما فينها ، وعصت أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بسبب ضعفهم أمام إغراء الغنائم .

يقول سبحانه وتعالى : [وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٥٢]

وهناك طائفة أخرى تولت هاربة لا تلوي على أحد ، والرسول صلى الله عليه وسلم . يدعوهم للثبات والكر بعدما خارت قواها ، وتهاوت عزائمها أمام إشاعة مقتل الرسول . صلى الله عليه وسلم . وقد أفردوه مع نفر قليل قد التفوا حوله مدافعين عنه بكل ما أوتوه من شجاعة ، وجرأة، وثبات في الشدائد ، وصفاء ، وصدق ، وإخلاص في العقيدة .

لقد جاءت الآيات . بما تحمله من لوم وعتاب ، وتوجيه وإرشاد . كاشفة عن تلك العلل التي أدت إلى ظهور الباطل حينا ، متوجة بعفوه . سبحانه . عنهم .

إن ما أقدمت عليه فرق الجيش من إخلال بمراكزهم في ميدان المعركة، وفشل وتنازع ، وعصيان أوامر الرسول عليه السلام وتوليهم مصعدين مفردين رسول الله للخطر مع نفر قليل حتى " خلص العدو إليه ، فدث بالحجارة ، حتى

وقع لشقه فأصيبت رباعيته ، وشج في وجهه ، وكُلِمَتْ شفته "([1]) لهو مما يستوجب اللوم ، والتقريع ، وإنزال العقاب بالمخالفين ، إن لم يكن أشده ، إلا أنه عليه السلام . برحمة من الله ، وبما ألقاه في قلبه من داعية الخير والرحمة ، واللين . قد لان لهم حين عادوا إليه ، مبديا بسطة في الخلق ، وسعة في الصدر ، وقوة في الاحتمال ، ولم يسرع إليهم فيما كان منهم في ذلك اليوم .

هذا الانزياح الفكري ، والأخلاقي المتمثل في استنزال طائر القوم بإحلال العفو محل العقاب والمؤاخذة ، والاستغفار للمخالف المتجاوز محل اللوم والتقريع والتثريب ، ومشاورة من تسبب في هزيمة الجيش محل الانفراد بالرأي في الأمر ، ليترك . بحق . آثارا إيجابية . في نفوس قوم عرفوا بالأنفة ، وإباء الضيم ، كما دأبوا على مقابلة الغضب بغضب أقوى منه، والجهل بجهل أشد منه ، ولم يعرفوا قط العفو في موطن العقاب . ترتقي بأخلاقهم ، وتصفي طبائهم ، وتؤهلهم للانخراط ، والثبات ، والتضحية في معارك هي أشد وأعنف .

لذلك يخاطبه الله . سبحانه . موجها له إلى العفو عنهم ، وعدم مؤاخذتهم على ما كان خاصا به من تبعة له عليهم ، فإذا تم ذلك استغفر لهم فيما لله عليهم ، فإذا تم ذلك استشارهم واستظهر برأيهم فيما لم ينزل فيه وحي .

---

[1] . الروض الأنف ، جـ : ٣ ، ص : ٢٦٣ .

وتلاحظ ـ هنا ـ تدرجا بليغا في الأوامر الصادرة إلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما يشير إلى أن حقوق العباد مقدمة في الآداء على حقوق المعبود ، وأن المرء لا يكون أهلا للاستشارة إلا إذا برئت ذمته من ذلك كله .

ويفهم من هذا التوجيه أن الناس لا يصبرون مع قاسي الطبع ، غليظ الخلق ، وإن كثرت فضائله ، ورجيت فواضله بل ينفضون من حوله ، لذا كان عفو الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ واستغفاره لجنده ، مؤلفا للقلوب ، وموحدا للصفوف ، وجامعا لكلمة الأمة .

١٠ ـ مقام ندب المظلوم ـ المُرَخَّص له في الجهر بالسوء بحق ظالمه ـ إلى العفو وقول الخير ترفعا على الرغبة في الانتصاف والمجازاة طمعا في عفو الله ومغفرته ، وسعيا إلى التخلق بصفاته سبحانه .

قال تعالى :[۞لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ١٤٨ إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ١٤٩](١)

وردت الآيتان في سياق الحديث عن أحوال المنافقين والكافرين ، وبيان عيوبهم ، وإظهار مفاسدهم إقامة للحجة عليهم ، وتحذيرا للمؤمنين من التخلق بأخلاقهم ، أو عمل أعمالهم ، معقبا ذلك ببيان حكم الجهر بالسوء من القول لئلا يُحتج بذكر القرآن عيوبَ المنافقين والكافرين على مشروعية ذلك على الإطلاق لما يجلبه من عداوة بين المجاهر بالسوء ومن ينسب إليهم ذلك

---

١ . النساء : ١٤٨ ، ١٤٩ .

السوء مستثنيا مِن ذلك مَن ظُلم شفاء لغضبه ، وتنفيسا لغيظه ، حتى لا يثوب إلى البطش باليد ، أو استخدام القوة في الانتصار لنفسه .

المقام ـ هنا ـ وإن بدا من السياق أنه يشير إلى حكم الجهر بالسوء ، وعدم حب الله له المستلزم تحريمه ، كما نص على ذلك المفسرون ...

إلا أنه في الجانب الآخر يكشف عن بشاعة وجه الظلم ، وهوان الظالم على الله ، وعن شعور المظلوم بثقل الظلم على نفسه ، وعلى كاهله خاصة إذا كان عاجزا عن دفع ذلك الظلم بسبب ضعف ، أو حياء يمنعه من الانتصار لنفسه .

إن إعلان الحق ـ سبحانه ـ عن عدم حبه للجهر بالسوء من القول ثم استثناء المظلوم من ذلك لهو دليل على الترخيص له في التنفيس عن غضبه كيلا يضطر إلى العنف مع استبطاء انتصار الله له من ظالمه . وهو معنى أغفله كثير من المفسرين .

ولذلك يعلق صاحب المنار على هاتين الآيتين بقوله : " ولهاتين الآيتين مناسبة مع ما قبلهما وما بعدهما ، وإن كانتا كالغريبتين في هذا السياق الشارح لأحوال المنافقين والكافرين " ([1]).

وبالنظر في خصوصيات المقام نجد أن إسناد الحب المنفي عن الجهر بالسوء إلى لفظ الجلالة فيه فرط تنفير من ذلك السلوك وزيادة تبغيض له في النفوس ، لأن العقل يقضي بوجوب حب الإنسان لما يحبه ، وبغضه لما لا يحبه الله .

---

[1] تفسير المنار ، ج : ٦ ، ص : ٣ .

وأما التعبيربقوله : " الجهر بالسوء من القول " فيلزم منه بُغْضُ الله للجهر بالسوء من الفعل أو الإشارة أو غيرها من كل ما يسوء ، ولو قيل : لا يحب الله الجهر بالقول السيء لما لزم منه ذلك ، ولمَا أفاد تقبيح ذلك السلوك لأنه يكون قولا موصوفا بأنه سيء ، أما قوله :"الجهر بالسوء من القول" فيجعل قول كل ما يخدش الحياء أو يمس السمعة ، أو يشوه سير الناس سوءا ، وهذا أدعى لاجتنابه .

" وقال بعضهم : إن " الجهر " بمعنى المجاهر من استعمال المصدر بمعنى اسم الفاعل ، أي لا يحب الله المجاهرين بالسوء إلا المظلومين منهم"([1]) .

وأوجه ذلك بأن التعبير بالمصدر دون اسم الفاعل فيه تنفير من الفعل وليس الفاعل ، فالرجل قد يكون من الصلاح والاستقامة والاعتدال بمكان ثم يظلم فيجهر بالسوء في حق ظالمه ، والتعبير باسم الفاعل يفيد أن عدم الحب واقع على المجاهر بالأصالة وعلى جهره بالتبعية ، وهو غير مقصود.

وعدم حب الله للجهر بالسوء إنما هو ـ في الحقيقة حماية لسمعة الناس وأعراضهم وسيرهم ، كما أنه توفيق بين حرص الإسلام على العدل الذي ينتصر معه لكرامة المظلوم وإنسانيته ، ويؤكد على حقه في الحياة دون قهر أو بطش من أحد، وحرصه في المقابل على حسن الخلق ، وشيوع الكلمة الطيبة انتصارا لسير الناس ، وصيانة لأعراضهم وسمعتهم .

---

[1] السابق ، ج : ٦ ، ص : ٦ .

ومـع عـدم حـب الله للجهـر بالسـوء نجـده يمكـن المظلـوم مـن الانتصـار لنفسه ، ويعطيه رخصة التنفيس عما يعتمل في صدره نتيجة ما استهدف به عرضه أوسمعته أو سيرته من سوء القول .

والآية ـ هنا ـ ليس فيها ما يدل على اختصاص أحد دون أحد آخر بهذا الاستثناء ، بل يدخل فيه كل من ظلم ، بغض النظر عن عقيدته ، أو لونه أو جنسه ، أو لغته ، وكأن الانتصار ليس انتصارا للمظلوم بقدر ما هو انتصار لكرامة الإنسان وآدميته ، بدليل تذييل الآية بقوله :[وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا] مع ذكر " عليما " بعد " سميعا " لقصد إفادة التعميم في العلم .

واستسثناء المظلوم بقوله : " إلا من ظلم " دون المظلوم مثلا ، يوحي بأن هذا الإنسان لم يجرب الظلم قط ، ولذلك كان وقعه على نفسه أشد ، كما يشير إلى أن الإنسان لا ينبغي له أن يسكت عن ظالمه مرة واثنتين وثلاث ، حتى يعرف بين الناس بالمظلوم ، بل له أن يجهر من أول ظلم يقع عليه ، لأن كرامة الإنسان وآدميته تأبيان عليه أن يسمى ويعرف بين الناس بهذا اللقب ، ولا يكون بجهره خارجا عما يحبه الله تعالى " لأنه ـ سبحانه ـ لا يحب لعباده أن يسكتوا عل الظلم ويخضعوا للضيم ، بل يحب لهم أن يكونوا أعزاء أباة ، فإذا تعارضت مفسدة الجهر بالشكوى من الظلم ، وهو من قول السوء ، ومفسدة السكوت على الظلم وهو مدعاة فشوه والاستمرار عليه المؤدي إلى هلاك الأمم وخراب العمران ، كان أخف الضررين مقاومة الظلم بالجهر بالشكوى منه "([1]).

---

[1] . تفسير المنار، ص : ٦ ، ج : ٦ .

وهنا أمر تجدر الإشارة إليه ، وهو أن جهر من ظلم . وإن كان داخلا فيما يحبه الله على تقدير كون الاستثناء متصلا . داخل في جملة السوء من باب المشاكلة للطيفة هي : " نهي الذكي الفطن عن تعاطيه ، وحثه على العفو ،لأن من علم أن فعله بحيث ينطلق عليه اسم السوء . على أي وجه كان إطلاقه . كف عنه إن كان موفقا " ([1])

فإذا مكنه من ذلك دعاه إلى العفو عن السوء تخلقا بكامالات الله الذي يقدر على عباده المسيئين إليه ، ومع ذلك يعفو ويصفح ، ويغفر ، وذلك في قوله . سبحانه . : [إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ١٤٩]([2])

وهو التفات بالكلام إلى خطاب المؤمنين يدفعهم إلى القبول بهذا التوجيه .

ونظرا لما في عفو النفس المظلومة المكلومة في عرضها ،أو سمعتها ، أو سيرتها من ثقل فقد تدرج السياق بها بدأ من إعلان عدم حب الله . سبحانه . للجهر بالسوء من القول ، ثم استثناء من ظلم من ذلك إيذانا بحقه في الانتصار لنفسه ، ثم التوجيه إلى أن إبداء الخير أو إخفائه لهو أفضل من الجهر بالسوء ، وصولا للحض على العفو عنه بالجملة طمعا في عفو الله ومغفرته ، فيكون حاله في ذلك حال من أقدره الله على ظالمه ، وأمكنه منه،

---

[1] . نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، ج : ٥ ، ص : ٤٤٨ .

[2] النساء : ١٤٩ .

ثم يندب إلى العفو عنه ، وكأنه ليس من الحكمة أن يندب من ظلم إلى العفو عن ظالمه إلا إذا مكن منه أولا ، وإلا فعفوه ليس عفوا على الإطلاق .

وكان من وسائل الحض على العفو والإغراء به . هنا . تعليق عفو الله عنهم ، ومغفرته لهم على فعلهم الخير جهرا ، وخفية ، وعفوهم عن ظالمهم بعد ما أقدرهم الله عليه بالترخيص لهم في الجهر بالسوء ، والتقدير : إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء يعف الله عنكم عند القدرة عليكم فهو . على هذا التوجيه . تكملة لما اقتضاه قوله . سبحانه . : لا يحب الله الجهر بالسوء استكمالا لموجبات العفو عن السيئات .

كما أن في جملة الجزاء . هنا . تحريضا لمن ظلم على العفو تخلقا بصفات الله ، والتقدير: إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء تكونوا متخلقين بصفات الله الذي يعفو مع قدرته المطلقة على عباده . ([1])

وتنكير كلمة : " سوء " مشير إلى أن الحض على العفو قائم ، ومندوب إليه حتى لو كان السوء الموجه إلى المظلوم عظيما ، مبالغا فيه .

كما أن عفو الله مستحق للمرء على ما يبديه ، أو يخفيه من خير ولو كان قليلا ، وبالتالى فاستحقاق من ظلم لعفو الله مع تركه مجازاة الظالم على سوء عظيم يكون له آكد ، وبه أولى .

---

[1] . راجع التحرير والتنوير ، ج : ٦ ، ص : ٧ .

المبحث الثالث

مقامات الحض على العفو والصفح داخل الأسرة

المبحث الثالث :

مقامات الحض على العفو والصفح داخل الأسرة .

١ـ مقام التحذير من فرط الحب المؤدي إلى طاعة الأزواج والأبناء في معصية الله سبحانه وتعالى ، والتوجيه إلى العفو ، والصفح ، والمغفرة .

قال تعالى : [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤]

{التغابن ١٤}

وردت هذه الآية في سياق الحديث تسلية للمؤمنين عما أصابهم من مصائب في أنفسهم ، أو أموالهم ، أو أزواجهم ، أو أبنائهم بسبب تمسكهم بما يوجبه عليه إيمانهم ، وتوجيها بألا تشغلنهم تلك المصائب عن الاشتغال بطاعة الله تعالى ، والعمل بكتابه ، وطاعة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ واتباع سنته جل همتهم في السراء والضراء .

وقد نزلت في قوم من أهل مكة أسلموا ، وأرادوا أن يأتوا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم ، فأتوا المدينة ، فلما قدموا على رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ رأوا من سبقوهم قد فقهوا ،

فهمُّوا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم ، فأنزل الله ـ عز و جل ـ : [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ] الآية(١)

ولما كان بعض أبناء المؤمنين ، أوأزواجهم عند نزول هذه الآية لا يزالون مشركين فقد حذرت الآية من شدة الشغف بالأزواج ، أوالأولاد إلى المدى الذي يحمل على إيثار ، وتقديم رضاهما على رضا الحق سبحانه وتعالى .

والمقصود من التحذير ـ هنا ـ التوقي ، وأخذ الحيطة ، لا ابتداء المؤاخذة ، لأن العفو المطلوب لا يكون إلا بعد حصول الذنب ، فكأن عدم مؤاخذتهم على مجرد ظن العداوة أولى بالطلب ، ويفهم منه ـ أيضا ـ النهي عن معاملتهم معاملة الأعداء لأجل إيجاس العدواة .(٢)

والآية بذلك تضع أصلا عظيما في تربية المؤمن نفسه على التزام الحق ، وكسب الحلال ، واجتناب الحرام ، واتقاء الطمع والدناءة في سبيل جمع المال ، والادخار للأولاد .(٣)

---

١ . راجع سنن الترمذي ، جـ : ٥ ، ص : ٤١٩ ، و المستدرك على الصحيحين للنيسابوري ، جـ ٢، ص : ٥٣٢ ، والتحرير والتنوير جـ : ٢٨ ، ص : ٢٨٣ ، حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي ، جـ : ٤ ، ص : ٤٠٦ .

٢ . راجع التحرير والتنوير ، جـ : ٢٨ ، ص : ٢٨٤ .

٣ . راجع تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا ،ج : ١٠ ، ص : ١١٦ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

المقام . هنا . تتداخل فيه مشاعر الحب والعطف والحنان والشفقة على الأبناء والأزواج ، مع ما تدعوا إليه الآية من ضرورة أخذ الحذر والحيطة من الإفراط في تلك المشاعر إلى الحد الذي يعجز المرء عنده من التمييز بين الباطل والحق ، والخطأ والصواب ، والحرام الحلال ، بل يعميه ذلك الشغف عن رؤية كل شيء إلا الزوج والولد .

ومع ذلك فإنك تجد من الأزواج أزواجا يعادين بعولتهن ، ويخاصمنهم ، ويجلبن عليهم ، ومن الأولاد أولادا يعادين آباءهم ، ويعقونهم ويجرعونهم الغصص والأذى ([1]) ،فيتحول هذا الحب إلى رغبة في الانتقام من الزوج ، أو الولد ، فترى كثيرا من المسلمين . حتى اللابسين منهم لباس الدين . يرتكبون المعاصي في هذه الفتنة ، ومنهم من يحرم أزواجه ، وأولاده من إرثه ، ويصبح الأشد قربا هو الأشد مضرة على قريبه من البعيد .

فيأتي التوجيه من الحق . سبحانه وتعالى . مكفكفا من مشاعر الغضب ، والرغبة في الانتقام . بالعفو ، والصفح ، والمغفرة مع ما فيه من ثقل على نفس الأزواج ، والآباء ، بسبب أن الأذى قد جاء من غير موضعه ، جاء من الزوج والولد ، وهو أمر ينكره القلب ، ويرفضه العقل ، لذلك أكد الخبر بداية بـ "إنَّ " فقال :[إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ] ، بعد النص بجملة الصلة على موجب قبول التوجيه ، وهو الإيمان به سبحانه ، ولم يأمر بالعفووالصفح ، كما في آية البقرة ،بل قال : [وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٤] فوجه إلى العفو ، والصفح ، والمغفرة

[1] . راجع الكشاف ، ج : ٤ ، ص : ٥٥١ .

، ورغب فيها عن طريق تعليق تحقق مغفرته ، ورحمته . سبحانه . على تحققها ، ووقوعها منهم .

وكأن الآية بهذه الصياغة تلتمس العذر للآباء فيما يقدمون عليه من مؤاخذة أزواجهم ، أو أبنائهم على ما صدر منهم من أذى ، وكأنك ترى . من خلالها . ذلك الكم الهائج من مشاعر الحزن ، والأسى ، والمرارة تعتصر قلوب الآباء بسبب ما أنزل بهم أزواجهم ، أو أبناؤهم من عقوق ، وقطيعة ، وهجر بعدما أفنوا أعمارهم في الزود عنهم ، والسهر عليهم ، والجمع لهم .

إلا أن التعبير بالموصول وصلته " الذين آمنوا " وإضافة الأزواج ، والأبناء إلى ضمير المخاطبين ، وتعليق تحقق جملة الجزاء على تحقق جملة الشرط وما عطف عليها من الصفح والمغفرة ، تدفع كلها للقبول بتوجيه الحق ـ سبحانه وتعالى . بما يحافظ على الصلات والوشائج قوية ، و يبقي على مشاعر الحب والحنان فياضة .

وقد جاءت الأفعال : " تعفو ، وتصفحوا ، وتغفروا " بهذا الترتيب البليغ ، حيث بدأت بالعفو ، ثم عطفت عليه فعل الصفح مع أنه أعم منه وأشمل ، لقصد التدرج بالآباء فيما يخالف فطرتهم ، وما كانوا يتوقعونه من بر أبنائهم ، والتلطف من الله معهم في حملهم على العفو والصفح عما فوجئوا به من عقوق ، لتنتهي إلى مغفرة الذنوب ، وسترها ، بما يتناسب مع ما ينبغي أن يكون بين أفراد الأسرة الواحدة من صفاء ونقاء .

فالعفو : ترك المعاقبة على الذنب ، والصفح : الإعراض عنه، وترك التثريب عليه، والغفران : إخفاءه ، وستره .

كما أن استخدام الواو في عطف تلك الأفعال مشير إلى استحباب تعقيب العفو بالصفح والصفح بالمغفرة دون تأخير استعادة لمشاعر الحب والحنان بين أفراد الأسرة في أقصر وقت ممكن .

****

٢ . مقام حض الزوجين على التعامل بالفضل والإحسان في حال الطلاق تتطييبا للقلوب المكلومة ، واستبقاء للمودة الإنسانية .

قال تعالى : [لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ٢٣٦ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٣٧[البقرة]

وردت الآيات في سياق بيان القرآن لأحكامٍ متعلقة بطلاق المرأة قبل الدخول بها .ونظرا لما يتركه الطلاق من آثار نفسية مؤلمة ، وجراح معنوية غائرة لدى الطرفين ، فقد حاول القرآن الكريم أن يمحو تلك الآثار ، ويداوي تلك الجراح ، ليبقي على صفاء النفوس ، ووشائج القربى ، والمودة الإنسانية قائمة بين الناس من طريقين :

الأول : مادي، يتمثل في فرض عطية للمطلقة على الزوج حسب قدرته عسرا أو يسرا إذا لم يكن قد فُرِض لها مهر قبل العقد ، تطييبا لقلبها المكلوم ، وجبرا لخاطرها المنكسر ، وتعويضا لها عما ألم بها من أذى بسبب الطلاق في حال ما إذا كانت متعلقة بالزوج ، راغبة في دخوله عليها ، ودوام عشرته لها .

أما إذا كان الزوج قد فرض لها فريضة ، فقد أوجب عليه القرآن أن يدفع لها نصف ما فرض .

وقد يقع الطلاق والزوج راغب في العشرة ، ودوامها لتعلق قلبه بالزوجة ، فيكون قد بذل من من ماله للزوجة من غير أن ينتفع بها ، فيكون ذلك سببا في تأذيه منها . لذا فقد نُدِبت الزوجة إلى معاملة الزوج بالفضل ، وترك المهر بالكلية .

الطريق الثاني معنوي نفسي بدت معالمه واضحة جلية فيما يلي :

أولا : رفعُ الحرج ، ونفي الإثم عن المطلق ، لأنه لما كان الأصل في التزوج طلب العصمة ، ودوام الصحبة ، والتماس الثواب ، ظن المطلق قبل الدخول أنه قد وقع في المنهي عنه ،لما أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه عن شهر بن حوشب أنه قال : "تزوج رجل وامرأة على عهد النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ فطلقها، فقال له النبي ـ صلى الله عليه و سلم: طلقتها ؟ قال : نعم ، قال : من بأس؟ قال : لا يا رسول الله . ثم تزوج أخرى ، ثم طلقها، فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ طلقتها ؟! قال : نعم ، قال : من بأس ؟ قال : لا يا رسول الله ،ثم تزوج أخرى ثم طلقها، فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ أطلقتها ؟! قال : نعم ، قال : من بأس؟ قال : لا يا رسول الله . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ في الثالثة : " إن الله لا يحب كل ذواق من الرجال ، ولا كل ذواقة من النساء".([1]) فظن المطلق قبل البناء بالزوجة ، ووقع في نفسه أنه يأثم بذلك، فرفعت الآية الجناح ، ونفت مقارفة

---

[1] . المصنف في الأحاديث والآثار لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي ،جـ : ٤ ، ص: ١٨٧ مكتبة الرشد – الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ ، ت :كمال يوسف الحوت .

المطلق الاثم بالتطليق ،إذا كان نكاحه على المقصد الحسن ،وتطليقه لضرورة على الوجه المندوب، لئلا يحيا تحت وطأة الشعور بتأنيب الضمير ، واقتراف الاثم ، وربما كان الفراق قبل البناء أروح من الإمساك ، وأقل ضررا من التطليق بعد الدخول .

ولا شك أن هذه الصياغة في إباحة التطليق قبل البناء ، و نفي الاثم ، ورفع الحرج عن الزوجين ، لا تدل على ذلك بقدر دلالتها على حرص الإسلام ووادته في دوام العلاقة الزوجية ، و المحافظة عليها حتى تثمر ذرية صالحة في جو يسوده الهدوء ، وتخيم عليه المحبة، لأن " الإباحة لا تذكر إلا حيث يُظن المنع "([1]) .

ثانيا : راعى في مقدار المتعة حال المطلق الاجتماعية والمالية ،ولم يكلف الفقير بمثل ما كلف به الغني ، فيدفع الفقير ما يناسب حاله وطاقته ، و يدفع الغني ما يناسب غناه وسعته، وذلك في إطار المعروف " الذي لا حمل فيه ، ولا تكلف على أحد الجانبين " ([2]) ، وبالقدر المتعارف عليه بين العقلاء ، وعلى الوجه الذي تستحسنه الشريعة والمروءة ، فلا يقبل من الغني مالا يتناسب مع غناه ، ولا مع حال المرأة ، ولا يكلف الفقير بدفع ما لا يطيقه ضيق عيشه ، وقلة حاله .

وبتلك الحكمة في التشريع ، تطيب نفس الزوج وتسمح بما يدفع ، وتذهب وحشة الطلاق عن المرأة وينجبر خاطرها بما تأخذ .

---

[1] . التحرير والتنوير ، جـ : ٤ ، ص : ١٢٢ .

[2] . المحرر الوجيز ، جـ : ١ ، ص : ٣١١ .

٣. جعل المتعة حقا للزوجة . في حال لم يفرض لها مهر . وجعل دفع الزوج لها من باب تمام الإحسان والتقوى وذلك في قوله تعالى : " حقا على المحسنين " ، وذكر المحسنين . هنا . ليس لتخصيص الإيجاب بهم دون غيرهم ، بل للتأكيد ، وإنه من تمام الإحسان ،" كما أن قوله تعالى :" هدى للمتقين " ليس بتخصيص أنه لا يهتدى به إلا المتقون ، لكن تنبيه على أن الاهتداء به من تمام التقوى".([١])

وجعله الطيبي في حاشيته على الكشاف علة للوجوب ، ولكونها حقا على الزوج ، فيقول :"المحسنين من وضع المظهر موضع المضمر إشعارا بالعِلِيَّة ، أي حقا عليكم بدليل قوله :" لا جناح عليكم " ، أي من شأنكم أيها المخاطبون وجوب شرعية المتعة لكونكم محسنين "([٢])

ولا شك أن التأكيد على كون المتعة حقا على الزوج مما يطيب به خاطر الزوجة المكلومة بالطلاق ، وتستهنئ به وتستمرئ أكل ذلك المال .

كما أن تسمية الزوج بالمحسن قبل قيام الإحسان به بالامتثال ، يقوده إلى دفع المتعة . مع عدم انتفاعه بالزوجة . عن طيب خاطر وسماحة نفس ، لأنه بذلك الامتثال يؤول

---

[١]. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للحسين بن محمد الطيبي ، دراسة وتحقيق : على بن حميد الجهني ،ج:٢ ، ص : ٤٦٥ ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

[٢]. السابق ، ص : ٤٦٥ .

يؤدي إلى انطلاق ألسنة أصحاب النفوس الضعيفة ، والقلوب ويرتقي إلى درجات المحسنين .([1])

المقام ـ هنا ـ مفعم بالأسى ، والحزن ، وخيبة الرجاء ، والظنون السيئة ، والشكوك في صدق النوايا ، وصفاء السريرة إلى حد الاعتقاد في أن التطليق ما قصد به إلا الإضرار ، وإنزال الأذى ، وأن الإقدام على التزوج لم يكن بقصد طلب الثواب والعصمة ، ودوام الصحبة ، وإنجاب الذرية ، مما المريضة ، الذين ينظرون إلى الأمور بعين مرمدة مدعين أنه ما وقع التطليق إلا لشيء به أو بها ، أو عيب فيه أو فيها .

مثل هذا الجو المكفهر الذي لا أثر فيه لبشر أو فرح ، تطل فيه أشباح الخصومة برءوسها البغيضة ، ووجوهها الكالحة داعية إلى الانتقام والقطيعة ، واللجاجة في الخصومة إلى حد الفجور في بعض الأحيان يأتي التوجيه القرآني بالحض على العفو ، والتعامل بالفضل والإحسان تحصيلا للتقوى ، وتطييبا للقلوب ، واستبقاء للمودة الإنسانية قائمة بين الناس ، وذلك في قوله تعالى : [إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ] أي : "المطلقات عن ازواجهن فلا يطالبنهم بنصف المهر ، وتقول المرأة : ما رآني ولا خدمته ولا استمتع بي ، فكيف آخذ منه شيئا؟! "([2]).

أو يعفو [أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ] أي الزوج ، فأقام المظهر موضع المضمر ملتفتا عن خطابهم في صدر الآية إلى التعبير عنهم .

---

[1]. راجع حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي ، جـ : ١ ، ص : ٥٤٩ .

[2] . الكشاف للزمخشري ، جـ : ١ ،ص : ٣١٣، ٣١٤ .

هنا . بلفظ الغيبة للتنبيه على المعنى الذي من أجله يرغب الزوج في العفو والإكمال ، والمعنى : إلا أن يعفون أو يعفو الزوج الذي حبسها ، مالك عقدة نكاحها عن الأزواج ، ولم يكن منها سبب في الفراق ، وإنما فارقها بإرادته ، وعفوه إذا سلم كل المهر أن لا يرتجع النصف بالطلاق ، أو إن لم يسلم وفاه كاملا ([١]).

"وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيها نظر إلا أن يقال: كان الغالب عندهم أن يسوق إليها المهر عند التزوج فإذا طلقها قبل الدخول فقد استحق أن يطالبها بنصف ما ساق إليها فإذا ترك المطالبة فقد عفا عنها"([٢]) وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ][البقرة٢٣٧]

ولم يكتف القرآن بالحض على العفو فحسب بل رغب الزوجين فيه بأن جعل" العفو أقرب إلى صفة التقوى من التمسك بالحق ، لأنه أي التمسك بالحق وإن كان لا ينافي التقوى إلا أنه يؤذن بتصلب صاحبه وشدته ،والعفو يؤذن بسماحة صاحبه ورحمته ، والقلب المطبوع على السماحة ، والرحمة أقرب إلى التقوى من القلب الصلب الشديد ".([٣])

---

[١] . راجع حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي ، جـ : ١ ، ص : ٥٥٠ ، وفتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للطيبي ، جـ : ٢ ، ص : ٤٦٥ .

[٢] . راجع تفسير الكشاف ، جـ : ١ ، ص : ٣١٥ ، وحاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي ، جـ : ١ ، ص : ٥٤٩ .

[٣] . التحرير والتنوير ، ج : ٢ ، ص : ٤٦٤ .

ثم حثهما جميعا على الإحسان والتفضل فيما بينهم بإعطاء الرجل تمام الصداق ، أوترك المرأة نصيبها ، معللا ذلك كله بقوله :" إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ" ، فهو ـ سبحانه يرى أفعال العباد ويجازي عليها .

****

الخاتمة

الخاتمة

أولا : أهم نتائج البحث :

١ ـ جاء الأمر بالصفح فقط مقتضى مقامين اثنين مع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما يعني أنه مختلف في طبيعته عن سائر البشر ، لأنه لم يفتقر الى تدرج ، في الأمر بالعفو أولا ثم الأمر بالصفح بعد ذلك .

٢ ـ ورد أمر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالعفو غير معطوف عليه الأمر بالصفح الذي هو الإعراض عن الذنب مقتضى مقام واحد مرتبط بأحداث غزوة أحد بما يعني أن العفو في مثل ذلك المقام لا يستلزم الصفح والإعراض بل ينبغي مناقشة الأمر للاستفادة منه في معارك أخرى قادمة .

٣ ـ كل مقامات العفو والصفح كان الداعي إليها مما لايقوى على تحملها إلا الأشداء من الرجال . مما يعني أن المرء مندوب إلى العفو عما دونها .

٤ ـ خلت المقامات التي أمر فيها الرسول من محفزات قبول الأمر باستثناء مقام واحد متعلق بملابسات نقض اليهود لعهودهم مع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومحاولتهم قتله ، حيث أمره الحق قائلا : [فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ] {المائدة:١٣}، وذلك بسبب سدة ثقل جرمهم على نفسه عليه السلام .

٥ـ جاء ذكر معمول فعلي العفو والصفح ، وهو الضمير العائد إلى المستهدفين بهما ، مقتضى لكل المقامات التي أمر فيها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ باستثناء مقام واحد تعلق بتصبيره على أذي المشركين وذلك في قوله تعالى: [وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ] {الحجر:٨٥} ،

لإرادة العموم . في حين لم يذكر معمول فعلي العفو والصفح في سائر المقامات التي كان الأمر أو الحض فيها لغيره عليه السلام .

٦ . المقام الوحيد الذي حُض فيه على المغفرة ، مرتبة على الحض بالصفح ،المرتب على الحض بالعفو ،هو مقام حض المؤمنين على العفو عن أبنائهم وأزواجهم .

٧ . جاء الأمر بالعفو والصفح مع غير الرسول . صلى الله عليه وسلم . بصيغ غير صريحة بما يعنى أنهم دون الرسول في درجة القبول ومجاهدة النفس ، باستثناء أبي بكر . رضي الله عنه . حيث جاء بالفعل المضارع المقترن باللام . وهو أخف وطأة وأقل قوة من الأمر المباشر .

٨ . اقتضت كل المقامات أسلوب الخطاب باستثناء مقام واحد اقتضى صيغة الغائب هو المقام الذي أمر فيه أبو بكر . رضي الله عنه . لإفادة تعظيمه ، وبما يتناسب مع فداحة الموقف وعظم الذنب الذي وجه إلى العفو عنه .

٩ـ اقتضت كل المقامات أن يكون الأمر بالعفو معطوفا بالفاء على الداعي إليه ، بما يعني أن تعجيل العفو دائما مندوب إليه ، كونه يحقق السلام النفسي ، ويجلب السكينة والطمأنينة .

١٠. تركزت أهداف الأمر بالعفو والصفح ، أو الحض عليهما في :

. تحقيق السلا م النفسي على المستوى الشخصي .

. المحاقظة على وحدة الأسرة وتماسكها .

. المحافظة على الروابط المجتمعية بين العائلات .

ـ المحافظة على وحدة الأمة وتماسكها .

ـ صيانة أعراض الناس وسمعتهم وسيرهم من أي تشويه .

ـ الحرص على أن تكون اللغة السائدة في المجتمع خالية من الفحش وسوء القول .

ـ تقليل أمد الخصومة قدر الإمكان فإن ذلك من أسباب نهضة الأمم ، واستقرارها .

المصادر والمراجع

ثانيا : أهم المصادر والمراجع

١ . تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الإصبع ،

ت : حفني محمد شرف .

٢ . التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور التونسي ، نشر : الدار التونسية للنشر – سنة :١٩٨٤ هـ .

٣. تفسير أبي السعود ؛إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ، ج : ٦ ، ص : ١٦٥ ،نشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٤ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) ت : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، نشر مكتبة العبيكان ، الرياض السعودية ، الطبعة :الأولى ١٤٢٢هـ -٢٠٠١ م

٥ تفسير المنار ، لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين القلموني الحسيني ،المتوفى: ١٣٥٤هـ ، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٦ـ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي ، وعبدالقاهر الجرجاني في الدراسات القرأنية والنقدالأدبي ، ت : محمد خلف الله أحمد ، ود. محمد زغلول سلام ، ط : ٣ دار المعارف .

٧. حاشية الدسوقي على شرح السعد ، ط : دار السرور ، بيروت لبنان .

٨ . حاشية الشهاب المسماة عناي القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي ، دار صادر بيروت ، لبنان .

٩ـ حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي ، ط : مكتبة الحقيقة . استانبول . تركيا .

١٠. الحوار في القرآن . قواعده . أساليبه . معطياته ، ت : محمد حسين فضل الله ، ط : ٥ ، سنة ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م ، نشر : دار الملاك ، بيروت ، لبنان .

١١. الجواهر الحسان في تفسير القرآن لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، تحقيق :الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، نشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة : الأولى سنة : ١٤١٨ هـ .

١٢ـ الدر المصون لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، ط : ١،دارالقلم ، دمشق ، ١٩٨٦م .

١٣. الروض الأنف للإمام أبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد الخثعمي السهيلي المتوفى سنة ٥٨١ هـ ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

١٤ـ الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي ، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، مطبعة الحلبي القاهرة ، الطبعة الثانية سنة١٣٩٨ هـ . ١٩٧٨ م .

١٥. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للحسين بن محمد الطيبي، دراسة وتحقيق : على بن حميد الجهني ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

١٦. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ، المتوفى: ٥٣٨هـ ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط : الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

١٧. لسان العرب لابن منظور .

١٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ،لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) ت : عبد السلام عبد الشافي محمد ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ .

١٩. المستدرك على الصحيحين ، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري المعروف المتوفى: ٤٠٥هـ ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠ م .

٢٠. المصنف في الأحاديث والآثار لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي ، مكتبة الرشد – الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ ، ت :كمال يوسف الحوت .

٢١. مفاتيح الغيب ؛التفسير الكبير ، ت :أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي ، نشر : دار إحياء

التراث العربي ، بيروت ، ط : ٣، سنة : ١٤٢٠ هـ .

٢٢ـ مواهب الفتاح في شرح تلخيص تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي ، ط : دار السرور ، بيروت لبنان .

٢٣. مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، ت : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ، ط: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٤. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .

محتويات البحث:

١ المقدمة

٢ مصطلحات البحث

المبحث الأول :

٣ مقامات الحض على العفو والصفح عن أهل الكتاب والمشركين .

المبحث الثاني :

٤ مقامات حض المسلمين على العفو والصفح فيما بينهم توحيدا للصف .

المبحث الثالث :

٥ مقامات الحض على العفو والصفح داخل الأسرة.

٦ الخاتمة

٧ أهم المصادر والمراجع